الشعر الأندلسي في عصر الإمارة

بواعث الشعر في هذا العصر

عبد الرحمن الداخل ، شاعر عصر الإمارة

يحيى بن الحكم الغزال

عصر الإمارة :

تتمثل هذه الحقبة في عهد عبد الرحمن الداخل الذي تولى الحكم سنة ١٣٨–١٧٢ هـ – ٧٥٥– ٧٨٨ م وابنه هشام وحفيده الحكم ، وأهم ما تمتاز به من الناحية السياسية ،أنها عالجت الكثير من الاضطرابات الى سادت إبان حقبة الفتح أو عهد الولاة فقد وفد عبد الرحمن على الأندلس وبها القبائل العربية المتنازعة على السلطة فضلاً عن جماعات البربر الناقمة على العرب والمسيحيين الذين استوطنوا بالمناطق الشمالية من شبه الجزيرة ، والفرنج الذين كانوا يتربصون فيما وراء جبال البرانس ، كلّ هؤلاء شكلوا خطراً على أسبانيا خاصة وأوربا عامة ، لذلك سعى عبد الرحمن الداخل إلى تأمين حدود الدولة الإسلامية في الأندلس ضد المنافسين وأطماعهم المحدقة بالأندلس وقيادة الجيوش وتسيير الحملات إلى هؤلاء وأولئك من أجل تثبيت النظام وتدعيم الحكم ، وقد اتبع ابنه هشام عبد الرحمن الذي تولى الحكم سنة ١٧٢–١٨٠هـ – ٧٨٨– ٧٩٦ م سياسة والده في معالجة الأمور وحكم البلاد ، وقد كان من أهم ظواهر المجتمع الأندلسي في تلك الحقبة ، ضعف القبيلة والمنازعات العنصرية ثم اتجاه السكان إلى وحدة اجتماعية وصلت ذروتها في عهد الخليفة الناصر ، وكان ذلك بفضل جهود عبد الرحمن الداخل ومن حكم بعده من أبنائه وظهور طبقة جديدة أصبح لها كيانها ومكانتها بين طبقات المجتمع الأندلسي هي طبقة المولدين ، كما يلاحظ في هذا العصر التقدم الحضاري والعمراني ، وازدهار أعمال الإنشاء والتعمير ، وذلك بإقامة سور للعاصمة الأندلسية والاهتمام بتزيين الحدائق الجميلة وتشييد مدينة الرصافة ، وقد أسس عبد الرحمن الداخل مسجد قرطبة ، والكثير من المساجد في أقاليم مختلفة من الأندلس والتي أضحت آنذاك بمثابة الجامعات في وقتنا الحالي ، ففيها يتلقى طلاب العلم علومهم في حلقات لدى أبرز علماء العصر ، وتعد هذه المساجد النواة الأولى للجامعات الأندلسية الى انتشرت في أرجاء الأندلس فيما بعد ، وكانت الدراسة فيها باعثاً للمسلمين على التعمق في فهم دينهم الذي يعتنقونه ، والغوص في دراسة مبادئه وتعاليمه من حفظ للقرآن إلى تفسيره ، ودراسة السنة النبوية الشريفة ، ودراسة الفقه على مذهب الإمام مالك ، وقد أكد الباحثون أن الثقافة لم تأخذ طابعها المميز إلا في عصر الإمارة بقرطبة ، أما في عصر الولاة فقد كان اعتماد الثقافة الأندلسية على الثقافة المشرقية كثيراً ، لأنها جديدة العهد من جهة ولانشغال أهلها بالحروب المتواصلة والصراعات فلم يكن لديهم متسع من الوقت للبحث والدراسة ، ففي عصر الإمارة شعر المسلمون بالاستقرار وأصبحوا بحاجة إلى الثقافة والإبداع لتصبح لهم مكانة بارزة ينافسون بها إخوانهم من المشارقة وقد ساعدت عوامل عدة على ازدهار الثقافة وانتشارها في ظل إمارة الأمويين نذكر منها على سبيل المثال لا للحصر– وفود كثير من الأمويين الذين أتوا من المشرق ، وممن يرغبون في الإقامة بالإقليم الجديد ، لوفرة خيراته ووجمال طبيعته لا سيما وأن كثيراً

منهم كان على حظ من الثقافة والمعرفة وعودة البعثات التعليمية الى جدّ الأمراء في إرسالها للدراسة في المشرق ، فقد عاد رجالها وهم يحملون صنوفاً متنوعة من العلوم والمعارف أدت إلى ازدهار النهضة الفكرية في هذا العصر ، وخاصة الشعر ، فقد بدأ يتطور ، يزدهر ويحدد لنفسه طرائق جديدة حتى الأمراء أنفسهم كانوا شعراء على حظٍّ كبير من العلم باللغة والرواية والشعر ....

بواعث الشعر في هذا العصر :

١. التعبيرعن الانتماء للوطن الجديد وتصوير جمال طبيعة أرضه .
٢. الحنين ولا سيما في العصر الأول ، أي الحنين إلى موطنهم في المشرق والأهل والأحبة فيه .
٣. الظروف السياسية الى تطلبت الجهاد ، أو التنافس بين العرب فيما بينهم ، أو التنافس مع البربر فجاء وصف المعارك وذكر الحروب والمفاخرات .

- **سماته الفنية :** إن الاتجاه المحافظ ظلّ ســـارياً في الأغراض التقليدية من مدح وفخر وحماسة فقد غلبت على القصائد صور البداوة ومضى الأندلسيون في المدائح عللى نهج من تقدمهم .

أشهر شعـــراء عصر الإمارة

١. **عبد الرحمن الداخل**
٢. **يحيى بن الحكم الغزال**

عبد الرحمن الداخل شاعر عصر الإمارة

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بعبد الرحمن الد اخل وأيضاً صقر قريش ، ولد في دمشق سنة ١١٣هـ – ٧٣١ ونشأ يتيماً ، وأمه بربرية من سبي المغرب تسمى (راح) ، وعبد الرحمن أحد عظماء العالم ، إذ استطاع أن يدخل الأندلس ويستعيد فيها ملك بني أمية الذي سقط في المشرق ، بعد تولي الدولة العباسية الأمر ، وستطاع عبد الرحمن أن يفلت من فتك العباسيين وأسرهم فدخل المغرب ومنها إلى الأندلس ، وبويع له بالإمارة كما جاء في الروايات سنة ١٣٨هـ – ٧٥٦م ، وكانت وفاته سنة ١٧٢هـ – ٧٨٨م بقرطبة ودفن في قصرها . وتعاقب على عرشها بعده من أولاده وحفدته تسعة عشر خليفة في أربعة وثمانين ومئتي عام .

كان عبد الرحمن حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد إلى راحة ولا يوكل الأمور إلى غيره ، ولا ينفرد برأي ، شجاعاً مقداماً شديد الحذر سخياً متحدّثاً شاعراً عالماً ، وكان مهندساً بارعًا وعمرانياً جليلاً بنى الرصافة في قرطبة وصمم جامعها الشهير، ورتب أعمدته بأسلوب يرى فيه جميعُ المصلين الإمامَ ، وكان قلب الجامع يبدو وكأنه غابة نخيل.

لعبد الرحمن شعرٌ كثير ومشهور ، مع إن معظمه فُقد وما وصلنا منه كان في الحنين إلى أرض المشرق وفي الحماسة والوصف وله أيضاً رجز جميل جداً . ومن أشهر ما قاله من شعره مقطوعته عن وصف النخلة الى صورها إنساناً مرهف الإحساس يغترب عن داره وأهله إلى بلد آخر غريب عليه ، فنلاحظ التشخيص والتجسيم ، حين يحاكي النخلة قائلا :-

تبدّت لنا وسط الرُّصافة نخلةٌ تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلتُ شبيهي في التغرُّب والنوى وطول التنائي عن بَنِيَّ وعن أهلي

نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

يُقال إنها كانت أول نخلة زرعت في أوربا في حديقة قصر الرصافة لذلك هيجت أشجانه فقال:

سقتكِ غوادي المُزنُ من صوبها الذي يسِحّ ويستمري السَّماكين بالوَبلِ

وأجمل من ذلك قوله :

يا نخلُ أنتِ غريبةٌ مثلي في الأرض نائيةٌ عن الأهلِ
تبكي وهل تبكي مُكمَّمةُ عجماءُلم تُجبلْ على جِبلي
ولو أنّها عقلت إذاً لبكتْ ماءَ الفرات ومنبتَ النخلِ
لكنّها حُرمت وأخرجني بُغضي بني العبّاس عن أهلي

نلاحظ التشخيص وهو يخاطب هذه النخلة الوحيدة الفريدة الى حاكت حال الشاعر فهي مثله وحيدة في أرض غريبة عن البلد والأهل والأحبة ، لذلك عقد بينهما مشاركة وجدانية وعلاقة نفسية حميمة باشتراك الصفات والميزات الفريدة بين الشاعر والنخلة والمشاركة العاطفية تظهر واضحة بارزة ، فالشاعر ونخلته اشتركا في التغرب والنأي عن الأهل ، والحنين والشوق في الرجوع إلى الأصل ..... فقال يتمنى العودة إلى وطنه رغم أنه ملكُ الأندلس من مقطوعة بعثها يتذكر فيها أخته أم الأصبع الى بقيت في بلاد الشام :

أيهـــا الراكـــب الْمُـــيممُ ارضـــي اِقـــرِ مـــن بعضـــي الســـلامَ لـــبعض
إن جســـمي كمـــا علمـــتَ بـــأرضٍ وفـــــؤادي ومالكيـــــه بـــــأرضِ
قـــدّرَ الـبينُ بيننـــا فافترقنـــا و طـــوى الـــبينُ عـــن جفـــونيَ غمضـــي
قـــد قضـــى الله بـــالفراق علينـــا فعســـى باجتماعنـــا ســـوف يقضـــي

أفصحت الأبيات عن حالة الاندماج النفسي بالشرق حقيقة ملموسة في الأبيات كما نلاحظ الانسجام بين الألفاظ والمعاني ، فالمعاني جاءت ملائمة لغرض الحنين ، والإفصاح عن مشاعر الشوق والألم الناتج عن فراق الوطن والأحبة ، إلا إن الخاتمة جاء فيها بعض التفاؤل فقوله (فعسى باجتماعنا ...) يأمل الشاعر أن يحظى يوماً بالعودة ولقاء أحبته حين يأذن الله بذلك .....

كما أسلفنا أن عبد الرحمن الداخل كان فارساً شجاعًا وملكاً قوياً لذلك كان في شعره ما يدعو للحماسة والفخر بالنصر وإحراز التقدم في الفتوحات الأندلسية التي ازدهرت في عصره ، فنراه يفصح عن شجاعته وبسالته مفتخراً بها فعل حين استقر الأمر له قائلاً :

شـــتان مـــن قـــام ذا امتعـــاضٍ منتـــــدى الشـــــفرتين نصـــــلا
فجـاب قفـــراً وشـــقّ بحـــراً مســـــامياً لُجّـــــةً ومحلـــــا
فشـــاد محبـــّا وبـــزّ ملكـــاً ومنـــــبراً للخطـــــاب فصـــــلا
ثـــم دعـــا أهلـــه جميـــعاً حيـث انتـــأوا أنْ هلـــمّ أهـــلا
فجـــاء هـــذا طريـــدَ جـــوع شـــريدَ ســـيفٍ أبـــاد قـــتلا
فنـــال أمنـــاً ونـــال شـــبعاً وحـــاز مـــالاً وضـــمَّ شمـــلا

ألم يكـــــن حـــــقٌ ذا علـــــى ذا أعظـــــمَ مـــــن مُـــــنعمٍ ومـــــولى

فقد دلّ أسلوبه على إيثار حياة الكفاح والجهاد ، وجمع شعره المعاني الكثيرة والتأنّق البلاغي فجمع بين سطوة السلطان الحازم وبراعة الشاعر المتأنق المبدع .....

يحيى الغزال شاعر من عصر الإمارة

يحيى بن الحكم البكري ١٥٦/٢٥٠هـ أصله من جيان ، وكانوا يلقبونه بالغزال لفرط جماله ، وكان أيضاً رجلاً حكيماً أرسله عبد الرحمن الأوسط ١٧٦/ ٢٣٨هـ الذي اجتذب إلى الأندلس زرياباً المغني الذي أدخل إلى الأندلس الموسيقى والغناء العربيين ، وهما فنان نهج العرب فيهما على أصول قديمة .. أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة إلى بلا ط النورمانيين ، فاستمال الغزال قلوب النساء هناك بظرفه ، وأعجبت به الملكة(تود) ونساءُ حاشيتها خاصة ، فكانت الملكة(تود) لا تصبر عنه يوماً ، وقد ألهمته هذه السفارة وغيرها أشعاراً لطيفة وجميلة .. وعاش الغزال أكثر من تسعين سنة ويؤكد ذلك ما ذكره في أرجوزته التاريخية من قوله :

أدركـــتُ بالمصـــر ملوكـــاً أربعـــهْ وخامســـاً هـــذا الـــذي نحـــن معـــهْ

فقد أدرك زمن عبد الرحمن الداخل وابنه هشام وحفيده الحكم ، وابنه عبد الرحمن وحفيده محمد ، لذلكَ كثر المديح لهؤلاء الأمراء في شعره ، ولشغله في بعض الوظائف ولسفارته المتكررة عاش في دعةٍ وترف في أكثر حياته ، لذلك نعجب أن نرى نفسه مطوية على غير قليل من المرارة ، مما دفعه إلى أن يُكثر من الهجاء فهو يهجو المـرأة ويصفها بعـدم الوفاء ، ويهجو زرياباً المغني في أول قدومه على قرطبة ويهجو الناس جميعاً حاكمين ومحكومين لذلك أمر عبد الرحمن بسجنه حين قال :

مـــا أرى هـــاهنـــا مـــنِ النـــاس إلا ثعلبـــــاً يطلـــــب الـــــدجاجِ وذ يبـــــا

أو شـــبيهاً بـــالقطّ ألقـــى بعينيـــ ـــــه إلى فـــــأرة يريـــــد الوثوبـــــا

فالناس جميعهم بنظره بين ثعلب ماكر وذئب مفترس وقط ينتظر فرصة من فأرة وجميعهم متحفز للوثوب والتقاط صيد ثمين ، وبما أنـه كان شاعراً فذاً استعطف الخليفة ببعض منظومه أو بعبارة أدق بقصيدة من قصائده فعفا عنه . وقد وصفه المؤرخون بأنه شاعر الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط كما أسلفنا اختاره شاعراً له ، وكان الغزال يتمتع بشخصية فذة ذاع صيتها في الأندلس وغيرها، فقد كان من كبار رجال الدولة ، مشهوداً له بالحكمة والدهاء وكان يجمع في شخصه عناصر الظرافة والذكاء والبديهة الحاضرة والفكاهة وخفة الروح والجد والهزل ، فضلاً عن ثقافته الواسعة والنجدة والإقدام وكان يُعدّ هو وصديقه عباس بن فرناس نموذجين لطرافة الشخصية وللأصالة الفكرية المبتكرة في الأندلس .

مراحل حياته الشعرية ، والأغراض التي نظمها :

لقد كان الغزال ظاهرة عجيبة تستلفت الأنظار في الأندلس .. توزعت حياته الشعرية على ثلاث مراحل تضمت الأغراض الآتية:

- **الأولى : مرحلة الشباب** وقد نظم فيها شعر الغزل والخمريات والسجون ، يقول :

كُلِّفتَ يا قلبي هوى مُتعِباً غالبتَ منه الضيغم الأغلبا

إنّي تعلّقتُ مجوسيّةً تأبى لشمس الحُسن أن تغربا

وقوله :

لم أنسَ إذ برزتْ إليّ لعوبُ طرباً وحيث قميصُها مقلوبُ

حاولتُ منها رشفةً فكأنها عسلٌ بماء سحابةٍ مقطوبُ

ودعتكَ داعيةُ الصّبا فتطرّبت نفسٌ إلى داعي الضلال طروبُ

وقوله متحسّراً على حبّه :

كنّا كروحين في جسمٍ غذاؤهما ماءُ المحبّة من هامٍ ومنسجمِ

ففرق الدهر شملاً كان ملتئماً منا وجمّع شملاً غير ملتئمِ

أشكو إلى الله ما ألقى بفرقته شكوى مُحِبٍّ سقيمٍ حافظ الذممِ

وله في وصف الخمر واللهو قائلاً :

فلمّا أتيتُ الحانَ ناديتُ ربَّه فثاب خفيف الروح نحو ندائي

فقلت أذقنيها فلمّا أذاقها طرحتُ عليه ريطتي وردائي

- **الثانيـة : مرحلـة الكبر** وفيها النقد الاجتماعي والأخلاقي والتي أشار فيها إلى عيوب المجتمع بأسلوب ساخر قائلاً :

ومُراءٍ أخذ النا سَ بسَمتٍ وقُطوبِ

وخشوعٍ يشبه السّقم وضعفٍ في الذَّبيبِ

قلت: هل تألمُ شيئاً قال : أثقالُ الذنوبِ

قلتُ : لا تُعنَ بشيءٍ أنت في قالَبِ ذيبِ

وله في تصوير ألسنة الناس وهي تنال من الآخرين وتغتابهم قائلاً :

ورأيـــت ألســـنة الر جـــالِ أفاعيـــاً طَـــوراً تثـــور وتـــارة تغتـــالُ

فـــإذا ســـلمتَ مـــن المقَالـــة غير ما تجني فأنـــتِ الأســـعدُ المفضـــالُ

الثالثـة : مرحلـة الشـيخوخة : فنلمح الشكوى والزهديات والحِكم وفيها تصوير ملامح تجربته في الحياة ، ونظرته إليها بعد أن حنكته التجارب وصقلته خلال عمره الطويل قائلا :

مـن ظـنّ أن الـدهر لـيس يصـيبه بالحادثـــات فإنـــه مغـــرورُ

فـــالقَ الزمـــان مهونـــا خُطوبـــه وانجـــر حيث يحـــرّك المقـــدورُ

وإذا تقلبـــتِ الأمـــور ولم تـــدم فســـــواءٌ المحزون والمســـــرورُ

وله أيضاً قصيدة تدلّ على زهده في الحياة نظمها في ساعةٍ تحقّقَ فيها أن كلّ شيء إلى زوال ، فتساءل عن تهافت الناس إلى متاع الدنيا وهو إلى زوال ، وما بالُ الناس يفتنهم التفاخر بينهم بالألقاب والغنى وكلهم صائر إلى الموت حيث المساواة فقال:

أرى أهلَ اليسار إذا توفّوا ... بنوا تلك المقابرَ بالصخور
أبوا إلا مباهاةً وفخراً ... على الفقراء حتى في القبور
فإن يكنِ التفاضلُ في ذراها ... فإن العدلَ فيها في القعور
رضيتُ بمن تأنّق في بناءٍ ... فبالغ فيه تصريفَ الدهور
لعمر أبيهم لو أبصروهم ... لما عرفوا الغنيَّ من الفقير
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضلُ الكبيرِ على الحقير

ومن النقاد من أضاف مرحلة أخرى هي مرحلة تابعة لمرحلة الزهديات والحكمة ومكملة لها في مضامينها الشعرية وأغراضها نستطيع أن نصنفها بالمرحلة :

الرابعة : أو مرحلة رثاء النفس : حين امتد العمر بالغزال نظم أبياتاً مشبعة بالحكمة العميقة والواقعية والإحساس بوطأة الزمن وثقل الشيخوخة قائلاً :

ألستَ ترى أنّ الزمانَ طواني ... وبِدّلَ خَلقي كلّه وبراني
تَحَيّفني عضواً فعضواً فلم يدع ... سوى اسمي صحيحاً وحدَه ولساني
ولو كانت الأسماء يدخلُها البلى ... لقد بليِ اسمي لامتداد زِماني
وما ليِ لا أبلى لتسعين حِجّةً ... وسبعٍ أتت من بعدها سنتان

وهو القائل في رثاء نفسه:

أصبحت والله محسودا على ... أمدٍ من الحياة قَصيرٍ غيرِ ممتدِ
حتى بقيت بحمد الله في خلفٍ ... كأني بينهم من خشيةٍ وحدي
أُنظرْ إليّ إذا أُدرِجتُ في كفنٍ ... وانظرْ إليّ إذا أدرِجُتُ في اللّحدِ
واقعدْ قليلاً وعاينْ من يقيم معي ... مِمَّن يُشيّع نعشي من ذوي وِدّي

الخصائص الشعرية لشعر الغزال :

١. **السرد القصصي** : اهتم في البسط والوصف والتحليل فجاء شعره هيناً ليناً برزت فيه ميزة الفن القصصي ، ففي الأبيات الآتية مثلاً سيعلمنا كيف أن النفس الإنسانية المتمثلة بفتاة طروب لعوب ، إنّما تميل إلى الشباب ولو كان الشابّ معدماً وتعرض عن الشيخ ولو كان ثرياً ، وذلك من خلال إثبات آليات الفن القصصي بحديث الفتاة وأبيها الذي أراد تزويجها من شيخ كبير لكنه ثري فقال :

وخيّرها أبوها بين شيخٍ ... كثيرِ المالِ أو حدثٍ صغيرِ

فقالت : خُطّــتا خسفٍ وما إن أرى من حظوةٍ للمستخير

ولكن إذا عزمتُ فكلُّ شيءٍ أحبُّ إليّ من وجه الكبيرِ

لأنّ المرء بعد الفقر يثرى وهذا لا يعودُ إلى صغيرِ

فالغزال هنا يميل إلى التحليل في تصوير حيرة الفتاة ولكنها تنتهي إلى اختيار من تعانق روحها روحه وهو الشاب المعدم لا الشيخ الغني .

٢. التصوير الواقعي الذي كان عاملاً فعالاً في إبراز شخصيته الطريفة واشتهاره في كل مكان واليك قصيدة تبرز من خلال أبياتها نظرة واقعية في الحياة قائلاً :

يا راجياً وِدَّ الغواني ضِلّةً ففؤادُه كلِفٌ بهنّ موكَّلُ

لا تكلفَنَّ بوصلهنَّ فإنّما الكلِفُ المُحِبُّ لهنّ لا يعقِلُ

إنّ النساءَ لَكالسروج حقيقةً فالسرجُ سرجُكَ ريثما لا تنزلُ

وقوله واصفاً حقيقة واقعية أزلية دالة على ماهية الطبيعة البشرية قائلاً :

إذا كنتَ ذا ثروةٍ من غِنىً فأنتَ المُسوَّدُ في العالمِ

وحسبُكَ من نسبٍ صورةٌ تخبّر أنك من آدم

٣. قيام شعره على الاتجاه الساخر ، مع وجود بعض النظرات الفلسفية والتي مردها إلى تربيته الدينية ، فهو لا يرى عصمة لمخلوق وإنما يبرز تفاوت الناس من خلال التستر على العيوب والإعلان عنها ، يقول:

إذا أُخبِرتَ عن رجلٍ بريءٍ من الآفات ظاهرُه صحيحُ

فسلْهم عنه هل هو آدميٌّ فإن قالوا : نعم فالقولُ ريحُ

ولكن بعضُنا أهلُ استتارٍ وعند الله أجمعُنا جريحُ

ومن إنعام خالقنا علينا بأنّ ذنوبنا ليست تفوحُ

٤. إيراد الفكرة المبتكرة : وإننا لنجد في شعره أبياتاً تفرّد في اختراعها تركيباً ومعنى وجرسًا فأجاد وأبدع في نظم صور طريفة جديدة بأسلوب حواري متقن ، يقول :

قالت : أحبّكَ ، قلت: كاذبةٌ غُـرّي بذا مَن ليس ينتقدُ

هذا كلامٌ لستُ أقبلُه الشيخُ ليس يحبُّه أحدُ

سِيّانَ قولُكِ ذا وقولُكِ إنّ الريحَ نعقدها فتنعقد

أو أن تقولي : النارُ باردةٌ أو أن تقولي : الماءُ يتّقِدُ

ختاماً : نقول إن يحيى بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير أمير الأندس لدى إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان ، وهو شخصية لها سحرها الخاص ، لا يملك من يتعرف عليها إلا الإحساس بالإعجاب والمحبة والمعايشة ، فتجد فيه الشاعر الساخر في الموقف العصيب أو الدبلوماسي البارع الخفيف الظل ، فتعجب به ، وتلمح في سيرته النقاء والصفاء النفسي فتحبه ، وتطلع على مداعباته ومحاوارته فتحسّ أنك على مقربه منه ، وقد حاول الأندلسيون أن يفكوا طلاسمه فزادوه انغلاقاً فسمّوا الغزال (عرّاف الأندلس) فكان كأنّما هو لغز لا يفسره إلا كلمة متعددة الدلالات .